AL HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTRE
Al-Hikmah International Journal for Islamic Studies & Human Sciences
E-ISSN: 2637-0581

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية
العدد 7، الرقم 4، ديسمبر 2024
E-ISSN: 2637-0581

حيثيات الحكم في المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي: دراسة نقدية
Of the Zamburic Question: A Critical Study of the verdic between Sībawayh and Al-Kisā'ī

عبد الغني بللو فولنسو Bello AbdulGaniyy Folonsho
International Islamic University Malaysia
gyybello@gmail.com

محمد إخوان بن عبد الله Mohd Ikhwan Bin Abdullah
International Islamic University Malaysia
mohdikhwan@iium.edu.my

Article Progress

Received: 3 Sep 2024
Revised : 20 Oct 2024
Accepted: 8 Dec 2024

* Corresponding Authors:

Bello AbdulGaniyy Folonsho

E-mail: *gyybello@gmail.com*

ملخص البحث

كانت المسألة الزنبورية حادثة تاريخية خالدة، وهي عبارة عن مناظرة علمية وقعت بين الأسطورتين؛ سيبويه والكسائي. دارت هذه المناظرة حول جملة نصها: "كنت أظن أن العقربَ أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أم فإذا هو إياها؟" كانت المناظرة شرسة، وقد أظهر كل منهما براعته ومهارته، وحيث حُسم الأمر فعلا لصالح الكسائي في نصب الحال، وحكم ضد سيبويه، فاندلعت ضجة كبرى وقامت لها القيامة ولم تقعد. وكان هذا هو الاعتقاد السائد، والانطباعات الموروثة من جيل إلى جيل، غير أن هذه الانطباعات تبنى على العواطف غير المنطقية ودون النظر إلى ظروف وحيثيات محتملة لسقوط سيبويه. تهدف هذه الدراسة إلى دراسة المسألة الزنبورية وحيثيات الحكم فيها، وأهم العوامل التي أدت إلى سقوط سيبويه وفوز الكسائي. وتستكشف الأسس المنهجية التي اعتمدها كل من سيبويه والكسائي في دراساتهم النحوية، وكيف ساهمت هذه الأسس في تشكيل منظومتهم النحوية. تعتمد هذه الدراسة على ثلاثة مناهج بحثية متكاملة؛ المنهج التاريخي لفهم التطور الزمني للنحو العربي والمنهج المقارن لمقارنة الآراء والتحليلات النحوية بين الأسطورتين، وكذلك المنهج النقدي لتقييم الآراء والنظريات النحوية المتباينة، وتفكيك بعض الانطباعات الموروثة عن هذه المسألة. تتوصل الدراسة إلى أنه من التحيز الظاهر والمحسوبية الجاهلية أن

نبني الحكم على العواطف بأن الكسائي خدع سيبويه ليتغلب عليه، بل كانت مناظرة علمية وقضية منهجية. وفي الحين كان البصريون يعتمدون على القياس متشددين، كان الكوفيون يعتمدون على القياس والسماع، وكان المذهب الكوفي أكثر تشعباً وأوسع رواية، والمذهب البصري أوسع قياساً وأضيق رواية .

الكلمات المفتاحية: المسألة الزنبورية، سيبويه، الكسائي، إذا الفجائية.

ABSTRACT

The zamburic question was an historical incident, a debate between the two legends; Sibawayh and Al-Kisa'i. This debate revolved around a sentence that reads: " *Kuntu aẓun anna al'qrba ashadd las'atan min al-Zanbūr fa 'idhā huwa hiyyāā Ao fa'dhā huwa iyyāhā*?" The debate was fierce, and each of them showed his skill and prowess, and when the matter was decided in favour of Al-Kisa'i and against Sibawayh, noises erupted among their followers. The allegation that Kisai set up Sibawahi in order to precail him was just a mere impression built on illogical emotions and without considering the possible circumstances and conditions for Sibawayh's downfall. This study aims to study the zamburic question and the conditions for the ruling therein, and the most important factors that led to Sibawayh's downfall and Al-Kisa'i's victory. It explores the methodological foundations that both Sibawayh and Al-Kisa'i adopted in their grammatical studies, and how these foundations contributed to shaping their grammatical system. This study is based on three integrated research methods; the historical method to understand the chronological development of Arabic grammar, the comparative method to compare grammatical opinions and analyses between the two legends, as well as the critical method to evaluate the different grammatical opinions and theories, and to debunk some inherited impressions about this issue. The study concludes that it is an empty statement and, perhaps an act favoritism to accuse that Al-Kisa'i deceived Sibawayh to overcome him, but rather a deserved victory based on critical and metholodical examination of the debate and the circumstances sounding Sibawayh.

Keywords: *mas'ala al-Zambūriyya*, Sibawayh, Al-Kisāʾī, *idhā al-fujāiyya*.

المقدمة

تُعتبر المسألة الزنبورية واحدة من المسائل النحوية التي أثارت جدلاً واسعاً بين العلماء، حيث تعكس الفروقات في الفهم والحكم بين المدرستين الرائدتين في النحو العربي: مدرسة سيبويه

البصرية ومدرسة الكسائي الكوفية. وهي عبارة عن مناظرة علمية وقعت بين الأسطورتين؛ أسطورة النحو وفنونه وبين أسطورة النحو وإمام القراءات. دارت المناظرة حول جملة نصها: "**كنت أظن أن العقربَ أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أم فإذا هو إياها؟**" كانت المناظرة شرسة، وقد أظهر كل منهما براعته ومهارته، وحيث حُسم الأمر فعلا لصالح الكسائي في نصب الحال، وذهب البعض من المتحمسين لسيبويه إلى أن الوزير يحيى بن خالد البرمكي أراد فوز الكسائي فاختار عربا يؤيدونه. وقد قامت على غرارها ضجة كبرى، وقامت القيامة ولم تقعد، وسيقت انتقادات واتهامات للكسائي بأنه احتال على سيبويه. ليست هذه المناظرة في الحقيقة بين سيبويه والكسائي بل إنها مناظرة بين المدرستين، ومن المعلوم أن كلا من المدرستين اختصت بدراسة وتدريس علم النحو وفنونه؛ مدرسة الكوفة بزعامة الكسائي، ومدرسة البصرة بزعامة سيبويه، وكل من المدرستين لها مناهجها في الحكم والتنظير. ورغم اختلاف المدرستين في كثير من المسائل النحوية، إلا أن هدفهم الخالص كان خدمة لغة القرآن. ولكن من تتبع حيثيات الحكم بينهما واستقرأ التاريخ بمنطق الأشياء استقراء موضوعيا بعقلية منفتحة يعرف أن الأمر بخلاف ما يقولون بأن الكسائي احتال على سيبويه مع أن الكسائي برئ من هذه التهمة. كان سيبويه كغيره من الإنسان له يوامان؛ يوم له ويومه عليه، فلا يتوقع أن ينتصر في كل الموقف. وفي هذا البحث سنستعرض لبعض العوامل التي يمكن أن يكون سببا لسقوط سيبويه في المناظرة، ثم نتعرض للبحث عن معاملات الكسائي وسيرته في العلم لنقف على صدقه في العلم وتواضعه للحق، وليس هذا البحث محاولة لتبرئة الكسائي لكن لنثبت أن الكسائي برئ من التهمة.

إن دراسة حيثيات الحكم بين سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية لا تقتصر على تحليل القواعد النحوية فحسب، بل تمتد لتشمل فهم الديناميات الثقافية والاجتماعية التي أثرت في تشكيل نتيجة المناظرة. من خلال هذه الدراسة، نأمل في تسليط الضوء على أهم العوامل التي أدت إلى سقوط سيبويه في هذه المسألة من خلال تقديم أدلة من سوابق الأحداث، ومقارنة البعض مع البعض.

تعتمد هذه الدراسة على ثلاثة مناهج بحثية متكاملة. أولاً، يُعتمد على **المنهج التاريخي** لفهم التطور الزمني للنحو العربي وتأثير السياقات الثقافية والاجتماعيةوالسياسية على آراء كل من سيبويه والكسائي. ونستخدم **المنهج المقارن** لمقارنة الآراء والتحليلات النحوية بين الأسطورتين، مما يساعد في إبراز الاختلافات والتشابهات في فهمهما للغة. وتتبنى **المنهج النقدي** لتقييم الآراء والنظريات النحوية المتباينة، وتفكيك بعض الانطباعات الموروثة عن هذه المسألة للوقوف على هو الصحيح. من خلال دمج هذه المناهج، يمكن تقديم صورة شاملة ومعمقة عن المسألة الزنبورية، مما يساهم في توضيح الأبعاد المختلفة للنحو العربي وتطوره عبر الزمن.

وقد سبق أن أدلى في المسألة الزنبورية باحثون قبلي من زوايا مختلفة ومن مقاربات متنوعة، فمنهم من وقف مع سيبويه على أنه مظلوم وأنه مستحيل أن يسقط في المناظرة مع قامته السامقة في اللغة العربية وقواعدها، وأن الكسائي احتال عليه ليفوز ويحتفظ بمكانته عند الملك الرشيد. كدراسة للأعلم الشنتمري، (al-A‘lam al-Shantamrī, 2005) بعنوان: **رسالة القضاء بين سيبويه والكسائي أو الفراء في المسألة الزنبورية المقرونة بالشهادة الزورية**، حيث أثبت أن أهل الحكمية الذين استشهدهم الكسائي في اقضية هم من أعرافه، وأن شهادتهم تلك شهادة زور. وكذلك نرى بعض الأبحاث التي أثبتت أن الكسائي بريئ مما أتهم به، فمثلا، دراسة جيهان بلمولود (Belmouloud, 2021) بعنوان: **براءة الكسائي من تهمة الكيد لسيبويه في المسألة الزنبورية**، فهذه الدراسة وإن كان الباحث يقف فيها موفقي إلا أنها تختلف عن دراستي في المنهجية، والهدف، والظروف التي تحيط بها دراستي. وحيث أنه يبنى حججه على العواطف للكسائي، فإنني أبني منظوراتي على المنطق لإثبات إمكانية سقوط سيبويه وأنه الكسائي فاز في تلك المناظرة بشرف وليس بمكيدة. وأما سهير أحمد محمد أحمد (2019) في دراسته بعنوان : "**المسألة الزنبورية بين الحقيقة والخيال**". فهو يرى أن المسألة الزنبورية ليست حقيقة واقعية وإنما هي من وضع

الرواة ونسيج خيالهم. وهو يثبت أن موقف سيبويه في تلك المناظرة يتناقض مع موقفه في كتابه، وأن المصادر التي سردت المسألة الزنبورية متأخرة كثيرا عن زمن المناظرة.

ولكن جل هذه الكتابات لم تتناول بشكل دقيق بعض العوامل التي أدت إلى سقوط سيبويه في المناظرة، ولم يفصلوا الكلام عن حيثيات الحكم بينهما. وكان الهدف وراء هذا المقال دراسة بعض العوامل التي أدت إلى سقوط سيبويه وإخفاقه في المناظرة. وهذا ليس محاولة تبرئة الكسائي عن التهمة ولكن إثبات أنه بريئ منها.

سيبويه: السيرة والمسيرة

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قِنْبَر، و "سيبويه" هو لقبه الذي به اشتهر حتى غطى على اسمه وكنيته، كانت أمه تحب أن تراقصه به وتدلله في الصغر، وهي كلمة فارسية مركبة وتعني ''رائحة التفاح''. وهو إمام النحاة الذي إليه ينتهون، وعلم النحو الشامخ الذي إليه يتطلعون، وصاحب كتاب العربية الأشهر ودستورها الخالد. فارسي الأصل ولد في حدود عام (140هـ /756م) على أرجح الأقوال في مدينة البيضاء ببلاد فارس، وهي أكبر مدينة في إصطخر على بعد ثمانية فراسخ من شيراز. ثم قدم البصرة ليكتب الحديث " (al-zaydī, 1983, & al-Fayrūzābādī, 2000)، وكنيته أبو الحسن وأبو بشر، تتلمذ على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، ويونس بن حبيب، وعيسى بن عمر الثقفي وغيرهم (Ibn al-Anbārī, 1999)، ولما كان لسيبويه حبسة في لسانه فلم يكن له مجلس علم يجمع فيه أتباعه، لذلك تذكر الأسفار بأن له ثلاثة تلاميذ فقط، هم: الأخفش الأوسط (215هـ)، وقطرب أبو محمد بن المستنير (206هـ).

وفد سيبويه إلى البصرة وهو صغير؛ لينشأ بها قريبًا من مراكز السلطة والعلم، وكان سيبويه يدرج مع أقرانه يتلقى في ربوع البصرة . حاضرة العلم وطرق سبيله الوعرة منذ صباه، وأراد التفقه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب الحديث على يد حماد بن سلمة المحدث المعروف، قال نصر بن علي: "كان سيبويه يستملي على حماد، فقال حماد

يوماً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال حماد: لحنت يا سيبويه، فقال سيبويه: لا جرم، لأطلبن علما لا تلحنني فيه أبدا، فطلب النحو، ولزم الخليل"، الذي أسرى ببنات أفكاره إلى عقل سيبويه فتقبلها الأخير بقبول حسن، وضمنها كتابه شارحا ومناقشا حتى آتت أكلها مرتين، بل مازالت تؤتي أكلها كل حين مرات عدة.

اشتهر سيبويه بالحياء وحسن الخلق، وفرط في الذكاء، كما اشتهر بحبسة في لسانه، عوضتها انطلاقة في قلمه، ويبدو أن الحبسة التي كانت في لسان سيبويه قد حالت دون ظهوره العلمي بالدرجة اللائقة به قبل ظهور أمر الكتاب، وليس هذا من العجب، فالمرء مخبوء تحت لسانه، وقد خبأت هذه الحبسة قدر علم سيبويه إلى أن أشاعه قلمه وكتابه، ونستدل على ذلك بما ذكره محمد بن يزيد أبو العباس المبرد قائلا: "قال يونس بن حبيب، وقد ذكر عنده سيبويه: أظن هذا الغلام يكذب على الخليل؛ فقيل له: قد روى عنك أشياء فانظر فيها؛ فنظر، فقال: صدق في جميع ما قال هو قولي" أخبار النحويين

خلف سيبويه مؤلفا واحدا هو الكتاب، ويوسم بقرآن النحو وكان "كتابا منفردا في هذا العلم لا ثاني له في عصره لشموله واتساعه وأهميته " (khadījah al-Hadīthī, n.d)، وقد درسه وتدارسه النحويون من بعده على اختلاف مشاربهم، وانتماءاتهم ومدارسهم.

الكسائي:

أحد القراء السبعة المشهورين وقراءته متواترة، وكان رائدة المدرسة الكوفية، وهو "أبو سن علي بن حمزة بن عبد الله بن بمن بن فيروز الأزدي مولاهم الكوفي المقرئ النحوي المشور بالكسائي أحد الأعلام ولد في حدود العشرين ومائة (al-dhahabī, 1995 & ibn al-Jazrī 2000)، وكنيته الكسائي؛ لأنه "أحرم في كساء. توفي عن سبعين عاما، سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة، (abu al-Faraj, 2003)، ومعه عرف النحو الكوفي

خطوة عملاقة جعلته ينافس نحو البصرة فقد اجتمعت في الكسائي أمور :كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن " (abu al-Faraj, 2003) ومن مؤلفاته نذكر : معاني القرآن، وكتاب الحروف، وكتاب الهاءات.

صدق الكسائي وتواضعه للحق

الذي يتوهم بأن الكسائي قد كذب في لغة العرب، وأشرك العرب أنفسهم في الكذبة، بل ورشاهم فهو مخطئ إلى حد بعيد؛ لأن الكسائي معروف بالصدق والأمانة ، أضف إلى ذلك هو قارئ من القراء السبعة المشهورين والطعن فيه يعني الطعن في قراءته؛ أي في نقله للقرآن الكريم، والقرآن الكريم المصدر الأول في التشريع الإسلامي، والأصل الأول من أصول النحو العربي، وقد وصفه أبو بكر بن الأنباري فقال: "اجتمعت في الكسائي أمور :كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن...وقال أبو طاهر بن أبي هشام:قال محمد بن بشار : حدثني أبي عن بعض أصحابه قال: قيل لأبي عمر الدوري: كيف صحبتم الكسائي على الدعابة التي فيه؟ قال:لصدق لسانه "30 . وتروى عنه قصة تؤكد مدى صدقه واعترافه بخطئه في حضرة الرشيد "قال أبو العباس بن مسروق :ثنا سلمة بن عاصم ، قال الكسائي: صليت بهارون الرشيد، فأعجبتني قراءتي فغلطت في أية ما أخطا فيها صي قط، أردت أن أقول: (**علهم يرجعين**)، فوالله ما اجترأ هارون أن يقول: أخطأت، ولكنه لما سلم قال: أي لغة هذه؟ قلت يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد، قال: أما هذا فنعم " (al-Dhahabī, n.d)، فقوله إن هذا الخطأ لا يقع فيه صبي صغير، وقد يعثر الجواد دليل كبير على تواضعه وصدقه الكبيرين، حتى أنه لم يخف على المنزلة الرفيعة التي يحظى بما عند الخليفة ، فالجاه والمال لا يعنيان له شيئا أمام الصدق ونقاوة الذمة "كان الكسائي ذا منزلة رفيعة عند الرشيد ، وأدب ولده الأمين، ونال جاها وأموالا "(al-Dhahabī, 982).

وحكى عنه الغراء فقال: "لقيت الكسائي يوما فرأيته كالباكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يحضرني فيسألني عن الشيء، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عتب، وإن بادرت، أمن الزلل، فقلت: يا أبا الحسن ، من يعرض عليك، قل ماشئت فأنت الكسائي؟ فأخذ لسانه بيده فقال:قطع الله هذا إذا إن قلت ما لا أعلم (al-Dhahabī, 982)

وهذا يعني أنه عالم زمانه، وإذا قال ما شاء؛ أي إذا كذب فمن ذا أعلم منه، ومن ذا يجرؤ على اتهامه بالخطأ، ومع ذلك لم يفعل وبقى صدوقا يبتعد عن الكذب، وتكفيه في هذا المقام شهادة "أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وقال: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي " (al-Zujājī, 1979)، فهذه الشهادة لا يمكن لأحد الطعن فيها، ويضيف الإمام الشافعي قائلا عنه: "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي" (al-Zujājī, 1979)، إذا فعلمه الغزير، وصدقه الشهير لا يمكن لأحد نكرانهما. (ibn al-‘Amād, 1988).

روايات المسألة الزنبورية

اختلفت روايات هذه المناظرة من كتاب لكتاب، ومن راو إلى راو آخر، ومنهم من أضفى عليها طابع الحماسة والمحاباة، ومنهم من اصطبغها بصبغة المحسوبية اعمياء لمدرسة دون أخرى. وكل من هذه الروايات تنطلق من انتطباعات شخصية غير موضوعية، ولكن أفضل الروايات في وصف هذه المناظرة ما ذكره الإمام جلال الدين السيوطي نقلًا عن أبي القاسم الزجاجي (أماليه).

"قال أبو القاسم الزجاجي: أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، قال حدثني سلمة قال: قال الفراء: قدم سيبويه على البرامكة ؛ فعزم يحيى على الجمع بينه وبين الكسائي فجعل لذلك يوماً، فلما حضر تقدمتُ

والأحمر فدخلنا فإذا بمثال[1] في صدر المجلس فقعد عليه يحيى ومعه إلى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم، وحضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألة فأجاب فيها سيبويه فقال له أخطأت، فقال له سيبويه هذا سوء أدب، قال الفراء فأقبلت عليه فقلت إن في هذا الرجل حدة وعجلة ولكن ما تقول فيمن قال هؤلاء أبون ومررت بأبين كيف تقول على مثال ذلك من وأيت وأويت فقدر فأخطأ ، فقلت أعد النظر فقدر فأخطأ ، فقلت أعد النظر فقدر فأخطأ ثلاث مرات يجيب ولا يصيب ، فلما كثر ذلك قال لست أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره.

قال فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه فقال تسألني أو أسألك ؟ قال لا بل سلني أنت. فأقبل عليه الكسائي فقال كيف تقول: **كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها**، فقال سيبويه فإذا هو هي ولا يجوز النصب، فقال له الكسائي لحنت، ثم سأله عن مسائل من هذا النحو: خرجت فإذا عبد الله القائمَ أو القائمُ. فقال سيبويه في ذلك كله بالرفع دون النصب، وقال له الكسائي ليس هذا كلام العرب ، العرب ترفع ذلك كله وتنصبه، فدفع سيبويه قوله، فقال يحيى بن خالد قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن ذا يحكم بينكما؟! فقال له الكسائي هذه العرب ببابك قد اجتمعت من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصرين وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم فيحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر قد أنصفت؛ فأمر بإحضارهم فدخلوا وفيهم أبو فقعس وأبو زياد وأبو الجراح وأبو ثروان فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله : فأقبل يحيى على سيبويه فقال قد تسمع أيها الرجل فاستكان سيبويه وأقبل الكسائي على يحيى فقال أصلح الله الوزير إنه قد وفد إليك من بلده مؤملاً فإن رأست أن لا ترده خائباً ؟! فأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج وصير وجهه إلى فارس، وأقام هناك ولم يعد إلى البصرة.

---

[1] فراش يجلس وينام عليه

حيثيات الحكم بين الكسائي وسيبويه

الحيثية الأولى: حبسة لسانه

إن القدر على التعبير عن الأفكار والآراء بوضوح وسلاسة وبلاغة، من أهم العوامل التي تساهم في نجاح المناظرة بين الطرفين وعندما يكون الشخص فصيحا يكون قادرا على إيصال أفكاره وآرائه وحججه بشكل مقنع ومؤثر، مما يجعله أكثر قدرة على إقناع الطرف الآخر والتأثير عليه. الفصاحة لا تقتصر على استخدام الكلمات الصحيحة فقط، بل تشمل أيضا القدرة على تنظيم الأفكار وتقديمها بطريقة منطقية وسلسة.

يرجع إخفاق سيبويه في هذه المناظرة إلى حبسة في لسانه حيث لا يستطيع التأثير على خصمه، ويكاد مؤرخو سيبويه يُجمعون على أنَّه كان أَلْكَن، حدَّث أحمد بن معاوية قال: ذُكر سيبويه عند أبي فقال: عمرو بن عثمان، قد رأيته، وكان حَدَث السِّن، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أَثْبتُ مَن حمل عن الخليل، وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو، وكانت في لسانه حبسة، ونظرت في كتابه فرأيت علمًا أبلغ من لسانه، (al-Wahibī, 1995) كانت هذه اللكنة سببًا قويًّا في إخفاقه في المناظرات، فإنَّه لم يُخفق في مناظرته للكسائي فحسب، ولكنَّه أخفق في مناظرة أخرى دارت بينه وبين الأصمعي، وكان الحق فيها معه، ولكنه هُزم بسبب هذه اللكنة في لسانه. حدَّث أبو حاتم السجستاني قال: دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه، فسألته عن خبره، ثُمَّ قلت له: في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه. قال: سَلْ. فقلت: حدِّثني بما جَرى بينك وبين سيبويه من المناظرة. فقال: والله لولا أني لا أرجو الحياة من مَرْضتي هذه ما حدَّثتك، إنَّه عُرض عليَّ شيء من الأبيات التي وضعها سيبويه في كتابه، ففسَّرتها على خلاف ما فسَّره، فبلغ ذلك سيبويه، فبلغني أنه قال: لا ناظَرتُه إلا في المسجد الجامع. فصليت يومًا في الجامع، ثُمَّ خرجت فتلقَّاني في المسجد، فقال لي: اجلس يا أبا سعيد، ما الذي أنكرت من بيت كذا وبيت كذا؟ ولِمَ فسَّرت على خلاف ما يجب؟ فقلت له: ما فسَّرت إلا على ما يجب، والذي فسَّرتَه أنت ووضعتَه خطأ،

تَسألني وأُجيب. ورفعت صوتي، فسمع العامة فَصاحَتي، ونظروا إلى لَكْنته، فقالوا: لو غلب الأصمعي سيبويه. فسرَّني ذلك، فقال لي: إذا علمتَ أنت يا أصمعي ما نزلَ بك مِنّي لم أَلْتفِت إلى قول هؤلاء. ونفض يده في وجهي ومضى، ثُمَّ قال الأصمعي: يا بني، فوالله لقد نزل بي منه شيء وددت أَنِّي لم أتكلم في شيء من العلم، فأنت ترى أنَّ لَكْنَته سببُ هزيمته. (al-Wahibī, 1995)

الحيثية الثانية: وحدة سيبويه في المناظرة

إن الحرب –كما ورد في الحديث – خدعة، والمناظرة لم تكن أقل شرسة ووطيسا من الحرب. هذا، فإن من العوامل التي أدت إلى إخفاق سيبويه وحبوطه في المعركة العلمية، وحدته في الموقف وفرط ثقته بنفسه حيث أنه لم يَستصْحِب معه أنصاره من طلبته ومن المتحمسين له وللمدرسة البصرية. وإن للفريق المؤيدين في كل مناظرة أو كل لعبة دورا مهما بالغ الأهمية في خلق جو إيجابي للمناظر حيث التحفيز والتأثير على الخصوم، كما كان للفريق المشجعين في كرة القدم دورا هاما وتأثيرا عميقا في نجاح اللاعبين لأن هذا الفريق هم قلب هذه الظاهرة. والأسد يعتبر ملك الغابة، وهو مع بسالته وقوته وقدرته الطبيعية على الصيادة والتغلب على الحيوانات، لو ترك عرينه إلى محتشد الحيوان الآخر حيث تجمعوا، سوف يعرض نفسه للخطر أن يفترش لأنه إن استطاع أن يتغلب على واحد منهم فلا يستطيع التغلب على الجميع.

وقد يكون ذلك أوضح عندما يصف الله تبارك وتعالى شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حيث يقول: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما".

الحيثية الثالثة: العامل النفسي

كان المناظرة في بغداد، وسيبويه قدم من البصرة والمسافة بينهما 529.7 كيلومترا، (Belmouloud, 2021) وهذه المسافة تقطع حاليا بالسيارة في خمس ساعات وعشر دقائق، فما بالك في تلك الفترة، فقد كابد المشقات وركب الخطوب والعناء الشديد وقضى أياما بل شهورا، ومن البديهي أن يكون سيبويه مرهقا ومتعبا جسديا، كاسر البال قليل الرجاء.

والباعث على تلك الرحلة –كما اتفقت الروايات – هو الطموحُ إلى نيل المجد المادي والأدبي، فقد كان الكوفيون إلى ذلك الحين يستأثرون بهبات الخلفاء والقيام على تربية أولادهم، فطمع سيبويه في أن يفتح باب الخلفاء والأمراء للبصريين، وأن يُشارك الكوفيين حظَّهم، وكان واثقًا بنفسه الثقة كلها، مؤمنًا بتفوُّقه وقدرته على الغلب والظفر، فأراد أن يبرهن للأمراء على أنَّ البصريين يفوقون الكوفيين ويَبُزُّونهم، فعمد إلى رئيسهم مؤمنًا بأنَّ انتصاره عليه انتصار للبصرة على الكوفة، ومن وراء هذا النَّصر يجلس هو على قمة المجد الأدبي، ويظفر بما يرغب من المال والثراء، ورغبته فيهما واضحة، وشهرة البرامكة بالبذل والعطاء هي التي بلا ريب جذبت إليهم سيبويه.

كان سيبويه عند وصوله لمكان المناظرة استقبله تلميذا الكسائي الأحمر والفراء فأمطراه بالأسئلة حتى أرهقاه ذهنيا، وكلما أجاب على الأسئلة المطروحة له خطآه في أجوبته، وهذا ما وجده سيبويه سوء أدب، فأنكاه نفسيا، وهو الآن خصم ضعيف تسهل الغلبة عليه، فدخل الكسائي ووجده فريسة سهلة.

الحيثية الرابعة: العامل المنهجي

من العوامل الأساسية التي أدت إلى إخفاق سيبويه وتفوق الكسائي في المسألة الزنبورية، والتي يجب أن تجعل في نصب العين عند النظر إلى المسألة الزنبورية والحكم على إحدى المدرستين بالصواب والخطأ اختلافهم في المناهج، فمنهج البصريين تختلف عن منهج الكوفيين

في القياس والسماع؛ فقياس البصرة في التطبيق يتباين عن قياس الكوفة، ففي حين كان البصريون يحفظون الشاذ ولا يقيسون عليه، كان الكوفيون وعلى رأسهم الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه (Muhammad al-Shātir, 1983).

ويميل كثير من الدارسين المحدثين إلى أن المذهب الكوفي أكثر تشعباً وأوسع رواية، والمذهب البصري أوسع قياساً وأضيق رواية، على أن اتساع القياس البصري المبني على العلل العقلية قد يمنع السائغ، ويضيق عن المسموع. فحين تشدد البصريون وخطّؤوا ورفضوا وخالفوا احترم الكوفيون المسموع وتوسعوا فيه إلا أنهم لم يقبلوا النادر والشاذ والقليل.

وبالنسبة للمناظرة التي دارت بين الكسائي وسيبويه، فأغلب الظن أن الأعراب الذين استشهد بهم الكسائي قد نطقوا بتلك الجملة كما نطق، وأغلب الظن أن بعض العرب ينطق بالجملة كذلك. وقد قال أصحاب سيبويه: إنَّ الأعراب الذين شهدوا للكسائي من أعراب الحطمية الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم. أمَّا تلك الرواية التي تزعم أنَّ الأعراب اكتفوا بقولهم: الحقُّ ما قال الكسائي، وهو كلام العرب، ولم ينطقوا كما نطق الكسائي، فغير معقولة ولا مقبولة، فقد كان سيبويه يعلم أنَّ العرب الخُلَّص في ذلك الحين يسبق الصواب إلى ألسنتهم (al-Wahibī, 1995).

قبل المسألة الزنبورية ناظر سيبويه نحويين آخرين، وحكم للطرف الآخر على حساب سيبويه، لكنها لم تثر الضجة التي أثارتها مناظرته مع الكسائي، فقد حكى الأصمعى عن مناظرة جرت بينه وبين سيبويه في المسجد الجامع بالبسرة ، فقال: "... ورفعت صوتي فسمع العامة فصاحتي، ونظروا إلى لكنته ، فقالوا غلب الأسمى سيبويه، فسرني ذلك" (ibn Hishām, 2009)، فغلب الأصمعى لفصاحته، وخسر سيبويه للحبسة التي كان يعاني منها في لسانه، وعن المناظرة نفسها ذكر الزبيدي في طبقاته قائلا: "حدثنا الرياشي قال: سمعت عمرو بن مرزوق يقول: رأيت سيبويه والأصمعي يتناظران، قال: يقول يونس بن حبيب : الحق مع سيبويه وقد غلب ذا – يعني الأصمعي – بلسانه"،

فالأكيد في هذه المناظرة أن الغلبة لسيبويه بشهادة أستاذه يونس بن حبيب، ومع ذلك فاز الأصمعي، فهذا الفوز تعسفي، ولا أحد أبطله وأعطى الحق لصاحبه الحقيقى سيبويه، ومع ذلك مرت المناظرة فيما بين الناس، وفي المصنفات، وكتب السير وكأنها شيء عادي، وحق مكتسب للأصمعي، لماذا لم تثر ضوضاء حول هذه المناظرة، وأمطر الكسائي بالانتقادات والتهم لما ناظر سيبويه، واستشهد بلغة عرب الخطمية. (Ibn al-Jazrī, 2006)

بعد المناظرة

برغم كل ما قيل عن الكسائي، وكل الانتقادات التي وجهت إليه، يبقى رجلا فاصلا كنها، فبعد انتهاء مناظرته مع سيبويه طلب من الوزير البرمكي أن يكافئ سيبويه.

جواز النصب بعد " إذا " الفجائية":

تعرض سيبويه ذاته لـ " إذا " الفجائية في مواضع من كتابه ، منها ما يتعلق بها من مسائل في باب الاشتغال به (Harūn, 1966) ، ومنها ما ساقها فيه ضمن باب عدة ما يكون عليه الكلم. (Harūn, 1966) ومنها ما ذكره في باب المصدر المنصوب على التشبيه، و عنونه بقوله " ما ينتصب فيه المصدر المشبه به على إضمار الفعل المتروك إظهاره، (Harūn, 1966) وقد نص على جواز الاسم الثاني بعدها في هذا الموضع الثالث

يقول سيبويه إن المصدر الثاني بعد " إذا " الفجائية يجوز رفعه ونصبه" فإذا اعتبرت إذا " طرفا محضا فما بعدها مبتدأ يحتاج إلى خبر ، فصار المصدر الثاني هو الخير ووجب رفعه ، نحو : أسررت به فإذا صوته صوت حمار " وإذا اعتبرت " إذا " خيرا مقدما صار ما بعدها مبتدأ ، وصار لكلام جملة لا تحتاج إلى شيء بعدها من أركانها ، فينصب المصدر الذي بعدها على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، أو على الحال، فنقول : " مررت به فاذا صوته صوت حمار " أي بصوت صوت حمار، أي مررت به ففاجاني صوته، أو ففي الحضرة

أو المكان صوته ، ثم أتبع ذلك بما يصفه بقوله : صوت حمار، أي يصوت صوت حمار، أو فإذا صوته مشبها صوت حمار.

وقال الأعلم في شرح هذا النص من كتاب سيبويه: "فإن قلت: مررتُ به فإذا صوته صوت حمار" جاز النصب والرفع ، فأما الرفع فعلى قولك : "خرجت فإذا زيد قائم" ، وأما النصب فعلى أن تكون "إذا " خبرا يتم بها الكلام فتضمر قبل "صوت حمار" فعلا يعمل فيه، وإن شئت نصبته على الحال .

وقد أجاز سيبويه في المنصوب في نحو: "مررت به فإذا له صوت صوت حمار" أن يكون منصوبا على الحال أو على أنه مصدر لفعل محذوف؛ قال: " مررت به فإذا له صوت صوت حمار "، و " مررت به فإذا له صراخ صراخ الثكلى " ... فإنما انتصب هذا لأنك مررت به في حال تصويت ، ولم ترد أن تجعل الآخر صفة للأول ولا بدلا منه (Zuhayr, 1987) .

ويدلك على أنك إذا قلت: " فإذا له صوت صوت حمار " فقد أضمرت فعلا بعد" له صوت "و" صوت حمار " انتصب على أنه مثال أو حال يخرج أنك إذا أظهرت الفعل الذي لا يكون المصدر بدلا منه احتجت عليه الفعل إلى فعل أخر تضمره (Harūn, 1966)

وقال الأعلم. فيما نقله عنه المقري في نفح الطيب مبينا أن سيبويه يجيز النصب في نحو "خرجت فإذا زيد قائما " : وأما من زعم عن سيبويه أنه قال : " خرجت فإذا زيد قائم " بالرفع لا غير فباطل ، وكيف ينسب إليه وهو علمنا أن الظرف إذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر . أي نصب ما كان خبرا من قبل . وإذا كان مستقرا للخبر رفع الخبر ، ونحن تقول: " خرجت فإذا زيد " فيتم الكلام (3) أي فتنصب حينئذ النكرة بعده على الحال لتمام الكلام قبلها.

نتائج البحث

1. إن الكسائي لم يخدع سيبويه، بل كانت المناظرة علمية وقضية منهجية بينهما في مجال النحو العربي وكان الفوز للكسائي على سيبويه.
2. من أهم العوامل التي أدت إلى سقوط سيبويه في المناظرة هي اختلاف المنهج بين المدرسة البصرية والكوفية، في القياس والسماع؛ فقياس البصرة في التطبيق يتباين عن قياس الكوفة، وفي الحين كان يعتمد البصريون على القياس متشددين، كان الكوفيون يعتمدون على القياس والسماع. كان المذهب الكوفي أكثر تشعباً وأوسع رواية، والمذهب البصري أوسع قياساً وأضيق رواية.
3. يمكن أن يتغلب سيبويه في المناظرة لو استصحب أصحابه إلى بغداد حيث قامت المناظرة، كما أن الفريق المؤيد المصاحب للاعبين في ميدان سباق كرة القدم ليس بأقل أهمية من تشجيع اللاعبين وتنشيطهم وتحفيزهم على التغلب على أعدائهم في المعركة.
4. بعد استقراء سيرة الإمام الكسائي ومسيرة حياته العلمية، ومعاملاته في العلم وملابساته مع الحق، اتضح جليا أنه برئ من هذه التهمة، وبعيد عن المعقول أن نقول إن الكسائي احتال على سيبويه.
5. إن إخفاق سيبويه في هذه المناظرة لم ينل من مكانته العلمية ولم يرجعه إلى الخلف في ميدان اللغة والنحو وإنما كان طالع الكسائي جيد في ذلك اليوم، وسيبويه كغيره من الإنسان له يوامان؛ يوم له ويومه عليه، فلا يتوقع أن ينتصر في الاختلافات في كل المرات.
6. ليست المناظرة الزنبورية هي وحدها التي سقط فيها سيبويه بل باظر نحويين آخرين وكانت الغلبة عليه ويرجع سبب ذلك إلى الحبسة التي في لسانه فهي تساعده كثيرا

في المواقف والمناظرات ومع أن له حججا دامغة إلا أن ذلك لا يمكنه من إثبات أدلته.

شكر وتقدير

يتقدم الباحثان بخالص الشكر والتقدير إلى قسم اللغة العربية وآدابها، بعبد الحميد أبو سليمان كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، لإعطاء بيئة مواتية لإجراء وبناء فكرة هذا المقال.

تضارب المصالح

يعلن ويعترف الباحثان بعدم وجود تنافس في المصالح المالية أو الشخصية أو غيرها فيما تتعلق بكتابة هذا المقال.

مساهمات البحث

صمم الباحثان هذه الدراسة بعنوان " "حيثيات الحكم في المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي: دراسة نقدية"" وجمع أهمّ الدراسات السابقة لكتابة هذا المقال.

المراجع والمصادر

Shams al-Dīn ibn ‘Uthmān al-Dhahabī : Siyar A‘lām al-nubalā’, tḥ : Shu‘ayb al-Arna’ūṭ wkāml alkhrāṭ, Mu’assasat al-Risālah, : 1 982m, J 9, Ṣ 134.

Jīhān blmwlwd, barā’at al-Kisā’ī min Tuhmat alkyd li-Sībawayh fī al-Mas’alah alznbwryh, Majallat "natā’ij al-Fikr" al-ṣādirah ‘an Ma‘had al-Ādāb wa-al-lughāt. Ṣ : 57

al-Ashbāh wa-al-naẓā’ir lil-Suyūṭī : taḥqīq / ‘Abd al-‘Āl Sālim Mukarram, Mu’assasat al-Risālah Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-ūlá 1406 H 1985m.

al-Uṣūl fī al-naḥw li-Ibn al-Sarrāj : taḥqīq D. ‘Abd al-Ḥusayn al-Fatlī, Mu’assasat al-Risālah, al-Ṭab‘ah al-thāniyah 1407 H-1987m.

I‘rāb al-Qur’ān llnḥās : taḥqīq / D. Zuhayr Ghāzī Zāyid, ‘Ālam al-Kutub, al-Ṭab‘ah al-thāniyah 1405h 1985m.

Amālī al-Zajjājī : taḥqīq / ‘Abd al-Sallām Hārūn, Dār al-Jīl Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-thāniyah 1407 H-1987m.

Inbāh al-ruwāh llqfty : nbāh al-ruwāh : taḥqīq / Muḥammad Abū al-Faḍl ibrāhy M, Dār al-Kutub al-Qawmīyah, al-Qāhirah 1437 H 2016 M.

al-Inṣāf fī masā’il al-khilāf, li-Ibn al-Anbārī : taḥqīq Muḥammad Muḥyī al-Dīn ‘Abd al-Ḥamīd, Dār al-Fikr.

al-Ayyām wa-al-layālī wa-al-shuhūr, lil-Farrā’ : taḥqīq / Ibrāhīm A l’byāry, al-Ṭab‘ah al-thāniyah 1400 H-1980 M, Dār al-Kitāb al-Miṣrī-al-Qāhir ah, Dār al-Kitāb al-Lubnānī-Bayrūt.

al-Bukhalā’ lil-Jāḥiẓ : taḥqīq / Ṭāhā al-Ḥājirī, al-Ṭab‘ah al-khāmisah, Dār al-Ma‘ārif-al-Qāhirah.

Sharḥ al-Kāfiyah lil-Raḍī : taḥqīq D. Yaḥyá Bashīr Miṣrī, al-Ṭab‘ah al-ūlá 1417 H-1996m, Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd.

Sharḥ Kitāb Sībawayh llsyrāfy, al-juz’ alth alth : taḥqīq / D. Fahmī Abū al-Faḍl, al-Ṭab‘ah al-thālithah, Dār al-wathā’iq al-Qawmīyah bi-al-Qāhirah 1435 H-2013 M.

Sharḥ Kitāb Sībawayh llsyrāf Y : taḥqīq / D. Muḥammad ‘Awnī ‘Abd al-Ra’ūf, al-juz’ al-khāmis, al-Ṭab‘ah al-thālithah, Dār al-Kutub wa-al-Wathā’iq al-Qawmīyah bālqāhr ah, 1435 H-2013 M.

Shi‘r Muzāḥim al-‘Aqīlī : taḥqīq / D. Nūrī Ḥammūdī al-Qaysī, wa-Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin, Dubayy, Markaz Jum‘ah al-Mājid 1341 H-2010 M.

Shawāhid al-Mughnī lil-Suyūṭī : taṣḥīḥ al-Shinqīṭī, Dār Maktabat al-ḥayāh Bayrūt.

Ṭabaqāt al-ḥuffāẓ lil-Suyūṭī : taḥqīq / ‘Alī Muḥammad ‘Umar, Maktabat Wahbah bi-al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah al-ūlá 1393 H-1973 M.

Ṭabaqāt al-shu‘arā’ li-Ibn Sallām lljmḥy : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah – Bayrūt 1422 H-2001m.

Ṭibqa at al-naḥwīyīn wāllghwyn lil-Zabīdī : taḥqīq / Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Ma‘ārif, al-Ṭab‘ah al-thāniyah 1984 M.

al-Fāḍil llmbrd : taḥqīq / ‘Abd al-‘Azīz al-Maymanī, al-Ṭab‘ah al-thāniyah, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah-al-Qāhirah 1995 M.

al-‘Ibar lil-Dhahabī : taḥqīq Abū Hājar Muḥammad ibn al-Sa‘īd Basyūnī Zaghlūl, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-ūlá 1405 H 1985m.